قصائد

أعرفُ ذلك الذي يرسم زهوراً على سفينةٍ تجارية

حُلمٌ من قماشٍ ومن ذهب

مع اقتراب الذكرى الـ169 لميلاد الشاعر والمناضل والسياسي الكوبي، خوسيه مارتي، قامت «الأكاديمية الملكية الإسبانية» و«رابطة أكاديميات اللغة الإسبانية» بإصدار كتاب أنطولوجي يضمّ مجمل شعره، إلى جانب نصوص حول تجربته. هنا ترجمةٌ لبعض قصائده

تمثال نصفي لخوسيه مارتي في هافانا، عام 2014

استباقاً لذكرى ولادة الشاعر الكوبي خوسيه مارتي (1853 ـ 1895)، التي تحلّ في كانون الثاني/ يناير المقبل، أطلقت «الأكاديمية الملكية الإسبانية» بالتعاون مع «رابطة أكاديميات اللغة الإسبانية» أنطولوجيا شعرية تذكارية من أعماله، حملت عنوان: «مارتي في كونِهِ».

تتضمّن الأنطولوجيا مجمل شعر مارتي، بالإضافة إلى نصوص نثرية (مقالات، دراسات، وخُطب)، بما فيه تقديمٌ لمختلف الأبعاد الفنية في تجربة الشاعر والمناضل والسياسي الكوبي. كما شمل الكتاب نصوصاً حول مارتي لمؤلّفين أساسيين في الآداب الناطقة باللغة الإسبانية، مثل خوان رامون خيمينيث، وغابرييلا ميسترال، الحائزين على جائزة نوبل، وروبين داريو، أحد أكبر ممثّلي الحداثة في الإسبانية، بالإضافة إلى أكاديميين مثل غييرمو دياث بلاخا من «الأكاديمية الملكية الإسبانية»، أو مارلين دومينغيث من «الأكاديمية الكوبية للغة». تقول غابرييلا ميسترال (1889 ـ 1957) عنه: «إنّ الأشعار البسيطة هي جزيرة حقيقية لأصالة مارتي الشعرية؛ إنّها اللُّبُّ المارتيّ الذي لم يستطع العدوّ التسلُّل إليه. لذلك فإن هذه الجزيرة عزيزة عليّ بشكل خاصّ. لي فيها أعظم مُتعةٍ مع المعلّم، ولي معه فيها محاوراتي الأكثر تحقّقاً».

أمّا الشاعرة والفيلسوفة الإسبانية، ماريا ثامبرانو (1904 ـ 1991)، فتُشير إلى إعجابها بتجربته قائلةً: «لا يمكن لمارتي إلّا أن يكون كونياً، وأن يُحسّ ـ على نحوٍ كونيّ ـ قطعةَ التاريخ التي قُدِّرَ له أن يعيش فيها». من جهته، يعتبر الشاعر الكوبي سينتيو فيتيير (1921 ـ 2009) أنّ مارتي وكوبا صورتان لشيء: «سوف يكون من الصعب الاستشهاد بحالة أخرى لتماثل البلاد مع إنسان يبلغ هذا الحجم العظيم الذي تجسّده كوبا في شخص وأعمال خوسيه مارتي». هنا ترجمةٌ لعددٍ من قصائد مارتي.

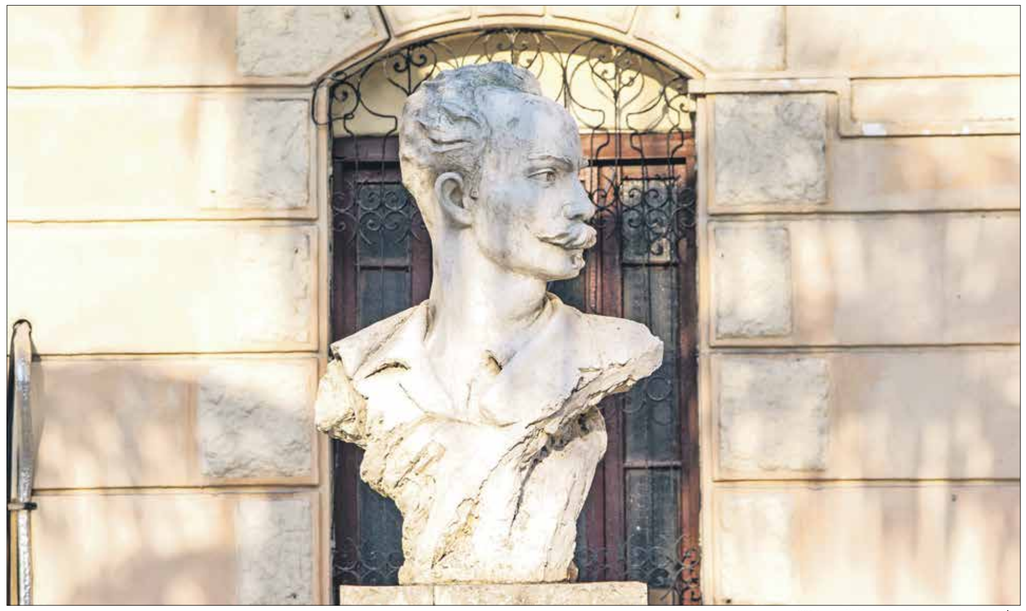

مختارات من شعر خوسيه مارتي

راغبٌ في أن أهب ذاتي للفضاءات

راغبٌ في أن أهَبَ ذاتي إلى الفضاءات
حيث يعيش المرء في سلام، برداءٍ
من ضوء، مفعماً بمُتعة مُسكِرَة،
يتنزّهُ فوقَ الغيوم البيضاء،
حيث يحيا دانتي والنجمات.

أعرفُ، أعرف، لأنني رأيتُ،
في ساعات نقيّة، كيف تكسر
زهرةٌ كأسَها، بطريقةٍ ليست مختلفة، لا،
عن تلك التي تحطّمه بها الروحُ.
اسمعوا، سأقول لكم: إنّها تأتي بغتةً
مثل فجرٍ غير مُتوقَّعٍ، ومثلما،

في الضوء الأول للربيع،
تتغطّى بالزهر شجيراتُ الليلك المحبوبة.
يا لحزني! راغبٌ في أن أحكي لكم عن ذلك،
وفي انتظار إلهام الشِّعر، اصطفَّتِ
الصورُ العظيمة أمام عينيّ،
مثل نسور مبتهجة رأيتُها جالسة.
لكنّ أصوات البشر كانت تطرد
الطيور الذهبية النبيلة من جوَاري.
ها قد مضت، ها قد مضت. انظروا كيف يسيل
الدم من جرحي!
إذا سألتموني عن رمزٍ للعالم
في هذه الأزمنة، فها هُوَ: جناحٌ محطَّمٌ.
يُصقَلُ الذهب طويلاً؛ أمّا الروحُ، فبالكاد.
انظروا كيف أكابد: روحي تحيا
مثل ظبيةٍ حوصِرَتْ في كهفٍ.
آهٍ، لا، ليس ذلك بالأمر الجيّد:
سأنتقم لنفسي وأنا أبكي!

■■■

أعرف رسامًا جريئًا

أعرف رسّاماً جريئاً
سعيداً يخرج لكي يرسم
على قماش الريح
وزبَد النسيان.

أعرف رسّاماً عملاقاً،
ذا ألوان إلهية،
يشرع في رسم الزهور
على سفينةٍ تجارية.
أعرف رسّاماً فقيراً
ينظر إلى الماءِ لمّا يرسم،
- ماءِ البحرِ المبحوح-
بعشقٍ مُوَلَّهٍ.

■■■

ما يهمّ في أن يكون خنجرك

ما يهمّ في أن يكون خنجرك
منغرزاً في خاصرتي؟
لديّ أشعاري، وهي
أقوى من خنجرك!

ما يهمّ لو أن هذا الألم
يُجفِّفُ البحر ويُغيِّمُ السماء؟
الشعرُ عَزاءٌ عذبٌ
يُولَدُ مُجنّحاً من الألم.

■■■

شجرة روحي

مثل طائر يعبر الأجواء الصافية
أُحسُّ أفكارَك تأتي إليّ
وهنا في قلبي تصنع عُشّها.
تتفتّح الروحُ المزهرة: ترتعش أغصانها
مثل الشفاه الطريَّة لفتىً
في عناقه الأول مع البهاء.
تهمس الأوراق: حتى لكأنّها تبدو
ألسنةً حاسدة للخادمة
المنشغلة بإعداد السرير
في البيت الثريّ.

شاسعٌ قلبي وهو لكِ كلّه:
يتّسع لكل شيء حزين، ولكلّ شيء.
كم يبكي ويكابدُ الآلام ويموت في العالم!
أنظّفه من الأوراق الجافّة والغبار
والأغصان المنكسرة: ألمُّ بعناية
الأوراق وسيقان الأزهار، وأفصلُ
عنها الديدان والبتلات المقضومة:
أُهَوِّي الأرضية المعشبة في محيطها.
كي أستقبلك يا عصفوراً بلا نقصٍ
أُهيِّئُ قلبيَ الشاردَ!

■■■

رقص

أنظرُ بمتعةٍ حزينةٍ
كالحفل النبيل الشاحب في مدينة شريش.
تحمل اليدان البيضاوان المرتعشتان
القدحَ الممتلئَ
نحو الشفة الجافة الحمراء.
وأنا أحرّكُ يدي بأسىً
نحو القلب الفارغ، ونحو الجبهة.

أرى ما يشبه حلماً
من شاش أبيض ومن ذهب،
تفتح فيه الجذوة طريقاً
في كلّ هذا الثوب المجنّح
الذي يجب أن يصير فيما بعدُ
رماداً مبلّلاً بالدموع.
أعبر الحاشية المرحة، المصنوعة من ذهبٍ وشاش،
وفي بكاء مُرٍّ يحترق وجهي.

(ترجمة وتقديم: خالد الريسوني)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سجن وشعر وثورة

تأتي أنطولوجيا «مارتي في كونه» (الغلاف) لتذكّر بتجربة لم ينفصل الشِعر فيها عن النضال السياسي. وإن كان الشاعر قد بدأ الكتابة مبكّراً، فإنّه سُجن أيضاً في السادسة عشرة من عمره بسبب أفكاره الثورية. سيُنفى بعد ذلك إلى إسبانيا، وعند عودته إلى كوبا بعد سنوات، سيُنفى مرّة أخرى. أسّس مارتي «الحزب الثوري الكوبي» في 1892، قبل ثلاثة أعوام من مقتله في معركة خاضها مع المناضلين الكوبيين ضد الاحتلال الإسباني.

معرض

جوردان آن كريغ منسوجات حضارةٍ أبادها الرجل الأبيض

ذاكرة أهل أميركا الأصليين

في معرضها الذي يتواصل في «غاليري أكتوبر» بلندن حتى نهاية الشهر المقبل، تستعيد جوردان آن كريغ فن جدّاتها من نساء قبائل الشايان الشمالية

لندن ـ **العربي الجديد**

جوردان آن كريغ أمام أحد أعمالها المشاركة في المعرض (جوناثان غريك)

قبل مئات السنين، كانت نساء شعب الشايان في شمال غرب الولايات المتّحدة يدرن معظم شؤون مجتمعاتهن، بينما يتفرّغ الرجال للصيد، وكانت من أهمّ وظائفهن نسج السلال والمنسوجات من جلود الماعز والأغنام، وصناعة الجرار وتلوينها بالصباغ، وغيرها من الحرف التقليدية، حيث لا يزال العديد من القطع الفنية التي أنتجنها شاهداً على حضارة لم يبقَ من أبنائها أكثر من عشرة آلاف شخص، بعد عمليات إبادة قادها البريطانيون. تستعيد الفنانة جوردان آن كريغ، التي تنتمي إلى قبائل الشايان الشمالية، ذاكرة جدّاتها في معرض «أحلامك الموحشة» الذي يتواصل في «غاليري أكتوبر» بلندن حتى التاسع والعشرين من الشهر المقبل، ويضمّ مجموعة من لوحاتها وأعمالها الطباعية والنسجية. تعتمد الأعمال المعروضة على التجريد واللون والإيقاع بوصفها عناصر أساسية شكّلت فنون السكّان الأصليين في أميركا الشمالية، في محاكاتهم للطبيعة من حولهم واختزال تضاريسها من جبال ووديان وسهول برموز مبسّطة، وكذلك في تصويرهم لآلهتهم وما تمنحه من هِبات أو غضب، وكذلك حروبهم مع أعدائهم. تُعيد كريغ إنتاج المنسوجات الأصلية والحلي وإكسسوارات الخرز والفخار والبُسط التي ترتكز على تكرار شكل هندسي معيّن، أو مجموعة أشكال تحيل إلى مشهد معيّن، حيث الخطوط المستقيمة والشبكات المربّعة والمثلّثات كانت العلامات الرئيسية التي استخدمتها نساء الشايان في صناعة الأحذية من الصوف أو حقائب اليد أو حاملات الأطفال. كما يضمّ المعرض عدداً من الأدوات التي ميّزتها زخارف بخطوط نحيلة غالباً توحي بالنعومة والرقّة رغم أنّها تستعرض أحياناً مشاهد وأفعالاً تُشير إلى السُّلطة أو القوّة، من تلك التي يقوم بها أزواجهنّ. الفنانة التي تلقّت تعليماً أكاديمياً

> تترجم الفنانة أحلامَها ولغة أسلافها الذين أبادهم البريطانيون

متخصّصاً في الرسم والطباعة، تقدّم أعمالها بلغة بصرية معاصرة، لكنها تتقصّد العديد من الإضافات والتفاصيل المستمدّة من تراثها. إذ نجد مجموعة من الأسنان كبيرة الحجم تتكرّر فوق إحدى المطبوعات، في إشارة إلى استخدام الشايان لقشور الأسنان في تزيين أدواتهم وصناعة قلائد من الخرز، وكان يعدّ مادة ثمينة، أو إبقاء أخطاء في بعض أعمالها، بما يذكّر بهفواتٍ كانت تقع فيها نساء الشايان في صناعتهنّ.

تلفت كريغ، في تقديم معرضها، إلى أنّ الفن هو ما يخرجها من فراشها، هي التي لا تستطيع النوم، فتعمل لتروي قصصاً عن طفولتها وعائلتها وعلاقتها معها، وانكساراتها في الحياة، وشفائها منها، حيث تترجم أحلامها الموحشة، ولغة أسلافها التي لم يعد يتحدّث اليوم بها سوى المئات، وهي مكوّنة أربعة عشر حرفاً ضمن ما يُعرَف بمجموعة اللغات الألغونكوية.

كما تنفّذ أعمالها الطباعية على أوانٍ فخارية تحاكي جرار الشايان التي تحتوي عادة على أربعة ألوان هي الأسود والأحمر والبرتقالي والأبيض، وتزيّن محيطَها كاملاً زخارفُ تأخذ أشكال الزهور أو الطيور التي يُستخدَم ريشها لطرد الأرواح الشرّيرة وجلب السعادة والحظّ، وكذلك الصحّة والجمال.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إطلالة

خلف غبار الدعاية

روايات في الظلام

سيأتي النور يوماً ليزيح الأضواء المصطنعة في ساحة أدبية محتلّة من متسلّقين سرعان ما يتضاءلون أمام الصنّاع الحقيقيين للرواية العربية

فوّاز حداد

الروايات التي أحدثت ضجيجاً أكثر من أن تحصى، فدور النشر في العالم تُصدر الكتب على مدار الساعة، وقد يرافق بعضَها الضجيجُ أسبوعاً، أو عاماً بكامله، تحصد دور النشر من جرّائه بيع مئات آلاف النسخ، وربما نال الكاتب جائزةً، وتحوّلت روايته إلى فيلم سينمائي. كانت هوليوود تتلقّف الروايات التي تحظى بإقبال القرّاء عليها، إذ تضمن شهرتُها مزيداً من المشاهدين. فتأخذ حظّها ثانية على الشاشة الذهبية، بعدما أخذت حظّها في الصحافة.

يمكننا إيراد أسماء لمئات الروائيين الذين أصابتهم الشهرة بضعة أسابيع، أو مَن لم تفارقهم طوال عقد وأكثر، مثل جون غريشام، الروائي الأكثر شهرة في أميركا طوال تسعينيات القرن الماضي؛ تابعه القرّاء المعجبون به، ومنهم مَن لم يزلْ وفيّاً له حتى بعدما تراجعت شهرته. وقد يعتبر غريشام استثناءً، وليس بالمثال الأكثر شيوعاً.

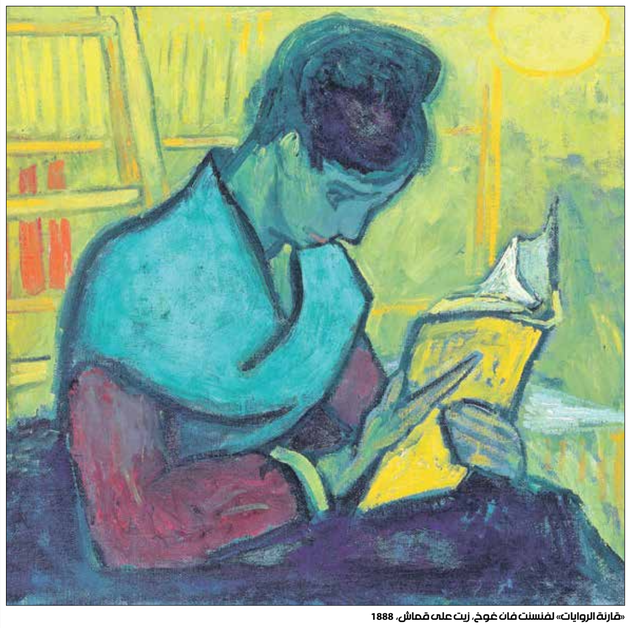

المستغرَب أنّ الذين حظوا بالشهرة في القرن الماضي بفضل رواج كتبهم، لم تكن أهمّيتهم في الرواية تضارع على الإطلاق روائيين أثبتوا جدارتهم في الرواية. وإذا أخذنا عاماً لا على التعيين، وليكن عام 1953، فسوف يقدّم مثالاً مثيراً، يعتبر فضيحة ثقافية نموذجية. ففي هذا العام كانتِ الأكثرَ شهرة ومبيعاً روايةُ لويد دوغلاس «الحبل». في العام نفسه، صدرت روايات لجيمس بلدوين، وسول بيلو، ووليم بوروز، وإيان فلمنغ، مبتكر شخصية جيمس بوند، و ج. د. سالنجر، الأسطورة الروائية، صاحب «الحارس في حقل الشوفان» وراي برادبوري، مؤلّف الرواية الشهيرة «فهرنهايت 451»... من دون تحقيق شهرة أو مبيعات لافتة. مرّت هذه الروايات كعناوين عادية جدًا، بل كسدَ بعضُها، وبعد عقود أصابتها الشهرة، وأعيد طبعها مراراً.

على المنوال نفسه، كمثال آخر، نرى الأمر بصورة أوضح في رواية «كم كان وادينا أخضر» للروائي الأميركي ريتشارد لويلن، التي حازت شهرة هائلة، وتربّعت على رأس قائمة عام 1940. في العام نفسه، لم تحظ بالشهرة ولا بالرواج ولا بالقراءة، رواياتٌ مثل «ظلام في الظهيرة» لآرثر كوستلر، ورواية «القلب صيّاد وحيد» للروائية كارسون ماكولرز، ورواية «ابن البلد» لريتشارد رايت. في حين امتدّت شهرة رواية لويلن إذ حوّلتها هوليوود إلى فيلم سينمائي عام 1941 من إخراج جون فورد، وبسبب شهرتها ربح الفيلم الأوسكار في مواجهة عبقري السينما أورسون ويلز وفيلمه «المواطن كين»، الذي سيصبح من أهمّ عشرة أفلام في تاريخ السينما.

في بلادنا ليس الأمر أسوأ ولا أحسن، جرّاء عدم شيوع القراءة، فلا معايير ولا جماهير ترحّب أو تنبذ، والأدب محروم من الجماهيرية، مع أنّ القليل من الأدباء حظوا بسمعة طيبة يبدو أنّ الأجيال ستتناقلها وتتوارثها، لاستقرار الرأي عليهم. ذلك أنّ النقد لا يخاطر، هو حذرٌ جدًا، فقد أعطى بضعة أدباء سمعةً يبدو أنّها لن تزول، ولا مشكلة، لكن لا يُضاف إليها تقريباً أحدٌ، وإذا أُضيف إليها أديبٌ، سرعان ما يدخل في دائرة النسيان. فالأدباء الذين احتفظوا بالدرجات الأولى كانوا المصري نجيب محفوظ والسوداني الطيب صالح والجزائري محمد ديب، ومن ذوي الشهرة الطائرة السوري حنا مينه، والسعودي عبد الرحمن منيف، والمصري جمال الغيطاني. طبعاً هناك غيرهم من الروائيين المجيدين فعلاً، لكنّ النقد لا يأتي على ذِكرهم كثيراً، لكنّهم من دون جدال احتلّوا مكاناً في تاريخ الرواية العربية. بينما كانت الصحافة سخيّةً في خلط الصالح بالطالح، الجيّد بالرديء، فالصداقات تتطلّب ذلك والمجاملات أيضاً، عدا عن الدعاية والترويج، كلٌّ لبلده، وكأنّها مهمّة وطنية، فكان التلويح بالكثيرين لمجرّد أنّ لهم سلطة في مؤسّسات ثقافية، خفاياها غير مطمئنة.

> لا يأتي النقد على ذكر كثير من الأسماء الَروائية المُجيدة

وهكذا تخلو الساحة الأدبية من المُجيدين الجُدد، لا لسبب، فقط لاحتلالها من المتسلّقين عليها. وهذا عائد إلى النقّاد، خصوصاً النقّاد المحترفين الذين استولوا على منابر ثقافية، واستغلّوها لعقْد أواصر المنفعة. فلم تحظَ المحاولات الجديدة في الكتابة بمراجعات جادّة، لأنّها لا تدرّ المنافع عليهم، فكأنّ الكاتب يكتب لنفسه، إلّا إذا كانت له علاقات تُشيد به، من دون التعرّض لامتحان نقديّ، ليتعرّف على كتابه تحت مبضع النقد.

أمّا المتزاحمون في ساحة الرواية، فيُرافق أعمالَهم الضجيجُ، ولننتبه: هذا الضجيج يفرضها على القرّاء بوصفها الرواية المعتبَرة، وإذا لم تعجبهم، فيعتقدون أنّ حساسيتهم الروائية متخلّفة. بينما هناك في الظِلّ، وربّما في العتمة، هناك مَن يخترق عالم الرواية ويتربّع فيه بجدارة، لكن في الظلام، عسى يأتي النور يوماً، ويزيح تلك الأضواء المصطنعة في ساحة محتلّة من متسلّقين سرعان ما يتضاءلون أمام الصنّاع الحقيقيين للرواية العربية.

(روائي من سورية)

«قارئة الروايات» لفنسنت فان غوخ، زيت على قماش، 1888

معارض

حتى الرابع من كانون الثاني/ يناير المقبل، يستمرّ في «غاليري أوت» في بيروت، معرض **أكثر حقيقةً** للفنّانة الأميركية الإيطالية **إيزابيل ماكورميك**، إذ انطلق في الرابع من الشهر الجاري. يضمّ المعرض لوحاتٍ زيتية تتناول فيها ماكورميك العالم الافتراضي الذي تعيش فيه الأجيال الجديدة.

فنون الإسلام هو عنوان سلسلة معارض تُقام، بشكل متزامن، في 18 مدينة فرنسية، ضمن مشروعٍ ضخم بهدف التعريف بالإبداعات الإسلامية، الحديثة والقديمة، باعتبارها جزءاً أساسياً من السردية البشرية الكُبرى، بحسب المنظّمين. انطلق المشروع في 20 من الشهر الماضي ويستمر حتى 27 من آذار/ مارس المقبل، ومن المدن التي تستضيف معارضه: **باريس، مرسيليا، ديجون، نانسي.**

بعنوان **مفارقة 2: القاهرة** افتُتح أوّل من أمس الأحد، في «غاليري مصر» بالعاصمة المصرية، معرض للفنان العراقي **محمود عبيدي** (1966)، يستمرّ حتى العاشر من الشهر المقبل. يقدِّم المعرض أعمالاً تتنوّع في موادّها لكنّها تشترك في مساءلة مفهوم اللوحة وفي إحالتها إلى هموم الفنان حول بلده، العراق.

يستضيف غاليري «ريتشارد سالتون» في لندن، حتى الثاني والعشرين من الشهر المقبل، معرض **حول حنة آرندت: الحقيقة والسياسات**، يضمّ أعمالاً لثلاثة فنانين استلهموا لوحاتٍ ومنحوتات من فكر الفيلسوفة الألمانية: الألماني **فرانك أويي لايسيبين**، والأميركي **ألان سيكولا**، والصربية **ألكساندرا دومانوفيتش.**